٤

فترة الغموض

من الرجوع إلى الأردن حتى العودة إلى الجليل

يوحنا ١:٢٩ – ٤:٥٤

تأليف: ب. س. دين

مميزات هذه الفترة.– تمتد الفترة تسعة أو عشرة شهور – من نهاية الشتاء إلى بداية الشتاء التالي. ماتم ذكره عن هذه الفترة قليل ومؤلف من أجزاء صغيرة، لهذا السبب بالإضافة إلى الحقيقة أن يسوع ظهر ببطء إلى الملأ، سُميت هذه الفترة بالفترة التمهيدية. قضى معظمها في يهودا، ونحن مدانين ليوحنا بسبب القليل الذي نعرفه. كانت سنة التعليم عوضاً عن صنع العجائب، وسنة خصوصية للتعليم الشخصي عوضاً عن الخطب العامة. استمرت خدمة يوحنا، مع انها بدأت تنقص قبل أن تنمو قوة خدمة يسوع (يوحنا ٤:١–٣). قضى الأيام الأولى في الجليل، والجزء الأكبر من الفترة قضاها في يهودا.

١. خدمة الجليل المبكرة

١. أول التلاميذ.– بعد التجربة، رجع يسوع إلى الأردن ليدخل في فترة خدمته. كان يوحنا المعمدان قد أشار إليه كحمل الله. خمسة أشخاص من تلاميذ يوحنا غادروا بسبب شهادة يوحنا والأكثر من ذلك وبلا شك، بسبب تعليم يسوع وشخصيته وانضموا إلى تلاميذ يسوع. هؤلاء التلاميذ لم يذهبوا جسدياً إلى يسوع، ومع ذلك، خلال كل هذه الفترة استمر يسوع يزيد ويوحنا ينقص، وهكذا يكون البشير (يوحنا ٣:٢٥–٣٠). لا يجب أن تُنسى اسماء أولئك التلاميذ الأوائل، وهم: يوحنا، أندراوس، بطرس، فيلبس، ونثنائيل.

٢. المعجزة الأولى.– ترك يسوع حالاً جنوب الأردن مع تلاميذه الجدد في رحلة قصيرة إلى منطقته في الجليل، وكانت المناسبة هي عرس في قانا الجليل بالقرب من الناصرة، تقابل يسوع هناك مع أمه وقام بأول الأعمال الرائعة والتي نسميها معجزات. حسن الضيافة فضيلة أساسية قيّمة، وقد أنهى الأحراج في الأحتفالات بتحويل الماء إلى خمر.

« رأى الماء المدرك ربه فأطاع. »

المعجزة هي معجزة، ومن العبث أن ندور حولها بفلسفة فارغة. نفهم طبيعتها بقليل كما نفهم العملية الطبيعية العادية. يسوع نفسه كان أعظم كل معجزة – هو معجزة السلوك الأخلاقي للعصور. القوة التي نعتبرها فوق الطبيعية، بالنسبة له هي قوة طبيعية. كما ان الله هو خالق الخليقة، هكذا أيضاً يسوع نفسه أنه سر لأعماله.

٣. خاتمة لخدمة الجليل.– بمرافقة أمه وتلاميذه، قام يسوع بزيارة إلى كفرناحوم التي جعلها فيما بعد مركز لخدمته في الجليل، ومن هناك مضى إلى العاصمة القومية أورشليم، هكذا اختتمت الخدمة المبكرة في الجليل. بما ان السجل مقتصر، إلا انه يمدنا بتباينين مثيرين للانتباه مع خدمة يوحنا: (١) كان على يسوع أن يكون صانع المعجزات (٢) اختلط مع الحياة العادية للناس العاديين. كان يوحنا منعزلا عن العالم ومجتنبا بيوت الناس ويبشر في البرية، وأما ذاك الذي جاء ليفدي الجنس البشري اختلط بكل حرية مع كل الطبقات ووزع خيرات الغنى، ودخل بيوت الفقراء وكرز في المجمع وفي البيوت الخاصة وفي البرية الموحشة وعلى شاطيء البحر المزدحم بالنشاط، وفي القرى وأسواق المدينة

الصاخبة، وفي العاصمة الفاخرة نفسها.

٢. الخدمة المبكرة في اليهودية

١. المقدمة.- كانت خدمة يسوع في الجليل ذات صيغة خاصة، القصد الأساسي منها هو إثبات إيمان تلاميذه (يوحنا ١١:٢). وهو الآن يدخل الطور العام في خدمته في العاصمة القومية نفسها. هكذا أُعطيتْ الفرصة الأولى ليهودا وأورشليم وحكام الأمة كي يقبلوه على أنه المسيح. لم يرجع إلى التبشير في الجليل إلا أن رفضوه في هذه المناطق.

٢. تطهير الهيكل.- الغيرة على العبادة الروحية والحياة الطاهرة كانت صفة الأنبياء المتقدمين في العمر. بدأ النبي الشاب عمله في أورشليم بالروح نفسها. ألوف الحيونات المُعدة للذبح حولت ساحة الهيكل إلى حظيرة للمواشي، بينما يقوم السماسرة بالمقايضة مع زبائنهم في دهاليز الهيكل نفسه. بذلك السلطان الذي يشدد على السلوك، طرد يسوع التجار ومواشيهم من الهيكل. {تطهير الهيكل هذا في أول عيد الفصح من بدء خدمة يسوع لا يجب أن يخلط بينه وبين تطهير الهيكل في وقت لاحق في آخر عيد الفصح لخدمة يسوع (متى ١٢:٢١)}. عمله الشجاع هذا لم يثر أي تعاطف من جانب الرؤساء الدنيئين، وإنما أثار عداوتهم عوضاً عن ذلك. وعندما رفضوه في العاصمة، رجع إلى القرى اليهودية.

٣. الحديث مع نيقوديموس.- خلال اقامته في المدينة، شهد يسوع على انه المسيح عند صنعه بعض المعجزات (يوحنا ٢٣:٢؛ ٢:٣؛ ٤٥:٤). على الأقل واحد من الرؤساء واسمه نيقوديموس، لم يشارك في عداوة الذين هم برتبته. في المقابلة الليلية التي أجراها مع المعلم الشاب يكون لدينا واحدا من أعمق الأحاديث التي نطق بها يسوع عن طبيعة ملكوته الروحي.

٤. خدمة القرى.- شهادة يوحنا الأخيرة:- عندما رفضوه في المدينة، رجع يسوع كما رأينا إلى القرى (يوحنا ٢٢:٣). لم تذكر الأحداث التي جرت هناك، ولكننا نستنتج من إنجيل يوحنا ٣٥:٤ بان يسوع بقى في اليهودية لمدة ثمانية شهور. وبانها كانت خدمة مثمرة ونامية ويظهر هذا من غرور تلاميذ يوحنا (يوحنا ٢٦:٣). حروبِ لا حصر لها خسرت بسبب غرور القادة. أُلقيَ يوحنا في قارب آخر، وغرور تلاميذه الطبيعي يزيد المناسبة لكل من التباين من جانبه والثناء الممتاز للمسيح الذي يجب عليه أن ينقص أمامه.

٥. ختام الخدمة المبكرة في اليهودية.- كان يوحنا قد رُفض من قبل الفريسيين (لوقا ٣٠:٧). لقد كانوا أكثر عداوة حتى للنجاح الروحي والتقدم الذي كان ليسوع. عداوة الفريسيين هذه و احتمال غرور تلاميذ يوحنا وفوق الكل سجن يوحنا، كل هذا جعل يسوع ينقل عمله من اليهودية إلى الجليل. (يوحنا ١:٤-٣؛ متى ١:٤-١٢).

٦. المرأة السامرية.- السامرة بجنسها المحتقر تقع بين يهودا والجليل. يتجنبها اليهود عادة بالمرور بعيدا من شرق الأردن. ولكن كان يسوع في أقصى شمال يهودا، وأيضاً لم تكن للعنصرية القومية مكانا في قلبه. حافظ يوحنا على حديث يسوع مع المرأة السامرية. نور حياته العجيب وكلماته وأعماله قد أدت إلى إقناع يوحنا وأندراوس وبطرس وجمهور كثير. ولكن الشيء ذو المغزى الجميل جداً أن الكشف المبكر لشخصه كونه المسيح المنتظر كان من قبل امرأة لم يُعطى اسمها وكانت من جنس أجنبي.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧